(٦) الإسلام وعاطفة الحب

بسم الله الرحمن الرحيم

« وجعل بينكم مودة ورحمة »

« سورة الروم ٢١ »

الإسلام وعاطفة الحب

يدعى كثير من أعداء الإسلام أنه دين شهوة . وأنه قد اهتم فى تشريعاته للزواج بالجانب الجنسى وحده . وهذا جهل كبير بحقيقة هذا الدين فالإسلام كدين عملى وواقعى قد اهتم بالحب بين الرجل والمرأة . بل لقد اعتبره شرطاً لإقامة الحياة الزوجية من بدايتها ثم شرطاً لاستمرارها ودوامها ولذلك حث المسلم والمسلمة على الالتقاء وتدقيق النظر والتعارف قبل الإقدام على الزواج لاستكشاف عواطفهما ومشاعرهما . كما نهى المسلم أن ينظر إلى المادة والمال أو حتى إلى الحسب والنسب فى زواجه أو أن يجعلها فى المكان الأول لاختيار الزوجة ، بل أمره أن ينظر إلى المحبة والمودة أولا ، فرسول الله يقول : « تزوجوا الودود الولود » ومعنى الودود التى تشعركم بالود والمحبة ، والله تعالى يصف الحب فيقول : « وجعل بينكم مودة ورحمة » ويقول أيضاً « وجعل منها زوجها ليسكن إليها » الإعراف ١٨٩ .

فهذه التعبيرات الإسلامية « المودة والرحمة — والسكن والود » هى كناية عما نسميه فى عصرنا الحاضر بالحب العاطفى والانسجام الروحى والفكرى . ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصف الحب الروحى فيقول :

« الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم وابن حنبل . ويقول (صلى الله عليه وسلم) « إذا تماسك الزوجان بأيديهما سقطت ذنوبهما من بين أيديهما » .

وكان رسول الله لا يخفى حبه لزوجته عائشة فقد سئل « أى الناس أحب إليك يارسول الله » فقال : عائشة « فقيل ومن من الرجال » : قال : أبوها (متفق عليه) .

ورغم عدله المطلق بين زوجاته فى كل ما يستطيعه ويقسمه فقد كانت عائشة أحب نسائه إلى قلبه وكان يقول « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولاأملك » رواه الخمسة .

كان بعض الآباء فى الجاهلية إذا علم أن ابنته تحب شاباً رفض تزويجها له ، وقد نهى الإسلام عن ذلك وأمر بتزويج المحبين والجمع بينهما فى الحلال ، وعدم التفريق بينهما بسبب التقاليد أو الطمع فى المال أوالجاه أو غيره فقد روى عن ابن عباس « جاء جماعة إلى الرسول قائلين يارسول الله عندنا يتيمة جاءها خاطبان موسر ومعسر ونحن نهوى الموسر وهى تهوى المعسر فأيهما نزوجها . . فقال الرسول : « لم ير للمتحابين مثل التزويج » وقضى أن تتزوج بمن تحبه » أخرجه مسلم وابن ماجه والنسائى .

والإسلام هو الدين الوحيد الذى يعتبر الحب والوفاق شرطاً لاستمرار الحياة الزوجية .

— كانت جميلة بنت عبد الله لاتحب زوجها الصحابى الجليل ثابت بن قيس فجاءت رسول الله قائلة :

« يارسول الله . لا أنا ولا ثابت يجمع رأسى ورأسه شئ . . والله ما أعتبه فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الإسلام . . وما أطيقه بغضاً . . انى رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى عدة من الرجال فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً .

فقال الرسول — أتردين عليه حديقته قالت — أردها وأزيده عليها ! قال أما الزيادة فلا . . وأحل طلبها الطلاق (رواه البخارى والنسائى وابن ماجه فى الطلاق) .

من هذا المثل نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالحب ويعتبر فقدان الحب مبرراً لانتهاء الحياة الزوجية فى حين أن الديانات الأخرى لا تسمح بالطلاق إلا عند حدوث جريمة الزنا فأى الحلين أفضل وأحكم ؟ الحل الذى يمنع الجريمة قبل وقوعها . أم الحل الذى يضطر المرأة إلى الزنا كى تحصل على حريتها .

ومثل آخر يرويه لنا البخارى فى صحيحه أن امرأة اسمها بريرة طلبت الطلاق من زوجها لأنها لا تحبه ، وكان

زوجها يحبها حباً شديداً وكان بعد فراقها يمشى خلفها فى الأسواق ودموعه تسيل على لحيته فأشفق الرسول عليه ، وقال لعمه العباس « ياعباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ؟ ! ثم طلبها الرسول : وقال لها « لو راجعته فهو أبو ولدك » فقالت فى إصرار « أهو أمر يارسول الله » قال لا إنما أنا شافع » قالت « لاحاجة لى فيه »

وجاءت فتاة إلى الرسول وقالت « إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته فجعل رسول الله الأمر لها إن شاءت أقرت ما صنع أبوها وإن شاءت أبطلته . . فقالت قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من الأمر شىء » رواه ابن ماجه وأحمد وأبو داود .

رأى فقهاء الإسلام عن الحب : —

لقد كتب فقهاء الإسلام عن الحب بصراحة وشجاعة . . فشرحوا الحلال منه والحرام ، ومنهم من ألف كتباً كاملة أو فصولا من كتب عن الحب . من هؤلاء ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة ، والجوزى فى كتاب « ذم الهوى » وابن تيمية والشافعى .

وقد وصف ابن حزم الحب وعلاماته والحب من أول نظرة والحب بالمراسلة والحب المكتوم فى القلب ، كما

وصف أخلاقيات الحب فى الإسلام ودواعى الكتمان ودواعى الإذاعة ، وألف ابن القيم كتاباً فى الحب سماه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين» تساءل فيه : هل الحب ضرورى للإنسان أم يمكن العيش بدونه . ووصف حدود الحب وآدابه .

ومن روائع ماكتب عن الحب كتاب « ذم الهوى » للإمام الفاضل أبى الفرج ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ورغم عنوان الكتاب إلا أنه فى الواقع يمدح الحب النظيف الحلال . فيقول فى ص ٣٠٦ « اختلف الناس فى العشق هل هو ممدوح أم مذموم ؟ فقال قوم ممدوح لأنه لا يكون إلا من لطافة الطبع ولا يقع عند جامد الطبع . ومن لم يعشق فذلك من غلظة طبعه . فهو يجلو العقول ويصفى الأذهان ما لم يفرط فيه فإذا أفرط عاد سماً قاتلا . وقال آخرون مذموم لأنه يستعبد العاشق قلت : وفصل الحكم : أماالمحبة والود والميل، إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يذم ولا يعدم ذلك إلا الحبيس من الأشخاص .

وأما العشق الذى يزيد على حد الميل ويصرف صاحبه عن مقتضى الحكمة فهو مذموم ، وقد وقع فى القسم الأول كثيرون من الأكابر ولم يكن عيباً فى حقهم .

ويستشهد الإمام ابن الجوزى بالكثير من الصحابة

والأئمة والعلماء ثم يقول « سئل الإمام أبو نوفل : هل يسلم أحد من العشق . قال : نعم . . الجلف الجافى الطبع الذى ليس فيه فضل ولا عنده فهم . وأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز ورقة أهل العراق فهيهات هيهات . ثم أنشد .

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فأنت وعير بالفلاة سواء

وجلس أحد الأئمة فى مجلس العلم والدين ، ثم فاجأ تلاميذه بقوله :

هل فيكم عاشق . . فهابوا وقالوا : لا . قال اعشقوا فإن العشق يطلق اللسان العيي ، ويفتح جبلة البليد والمختل . ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب المطعم . ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وتشرف الهمة وإياكم إياكم والحرام .

كتب هذا فى القرن السادس الهجرى ، ولو كتب فى عصرنا لقيل عنه تقدمى وسابق لعصره ، ولو وضع فى كتب علم النفس والتربية الحديثة فى أوروبا لقيل علم حديث ومتطور واستحق كاتبه شهادة علمية رفيعة ولكنه من تراثنا الإسلامى القديم جداً .